

في هذا العدد

تمثل قضية القدس نقطة التقاطع بين السياسة والدين في الصراع مع إسرائيل، كما أن حدود القدس الحالية والمستقبلية ترسم الحد الفاصل بين فرص التعايش والانفتاح واحتمالات المواجهة والانغلاق. فالقدس الفريدة برموزها ليست كسائر مدن الكون: المبكى والبراق، الصخرة والقيامة، الأقصى وطريق الآلام. والقدس مثقلة بتاريخها من دمار الهيكل حتى الغزو الصليبي، من الفتح الأيوبي حتى الانهيار العثماني، من الهروب البريطاني حتى الاحتلال الإسرائيلي.

والقدس اليوم كما في الأمس، هي في صلب النزاع، فمن دون القدس العربية كعاصمة للدولة الفلسطينية المفترضة، لا دولة ولا حل ولا سلام، ومن دون القدس كمثال للتسامح والتقاسم (لا التقسيم)، لا مجال للتفاهم والاستقرار، ومن دون القدس أيضاً لا معنى لأي توقيع أو صلح أو اتفاق. غير أن مستقبل القدس يبدو محاطاً بجدار من عدم اليقين، فالمدينة لا تزال ضحية الزحف الاستيطاني والتهويد الإسرائيلي من جهة، والتراجع الدائم في مسيرة السلام وتبعثر فرص التسوية من جهة أخرى. وبعد ٤٣ عاماً، لا يزال سكانها العرب يعانون العجز العربي/الإسلامي/الدولي نفسه، وفقر الموارد وضعف أدوات المقاومة التي عانوا جرّاءها منذ أول أيام الاحتلال.

وفي ظل هذا الواقع المعقد والأليم، تخصص "مجلة الدراسات الفلسطينية" هذا العدد لمسألة/مأساة القدس كمدينة وقضية وبؤرة للنزاع، مساهمة منا، ولو بنقطة، في بحر الجهد المطلوب من أجل التعبئة والتوعية دفاعاً عن الحق العربي وضماناً لمستقبل المدينة والسلام على حد سواء.

ولعل أبرز ما في هذه المادة مقالة إدوارد سعيد التي تنفرد المجلة بنشرها، والتي كتبها قبل خمسة عشر عاماً ولم تُنشر حتى اليوم. واللافت أن الزمن أثبت صحة نظرة سعيد الثاقبة إلى واقع المدينة والمخاطر المحدقة بها جرّاء الحملة الاستيطانية/الدعائية الصهيونية، والتلكؤ العربي في التصدي لها. وكما يقول رشيد الخالدي في تقديمه للمقالة فإن غياب الرؤية العربية الواضحة الموحدة لمستقبل المدينة ما زال يمثل إخفاقاً خطراً للنظام السياسي الفلسطيني، وللأنظمة العربية كافة، على حد سواء.

ومن المادة الثمينة أيضاً، مقالة نظمي الجعبي عن "القدس القديمة ومحيطها: الانقلاب على المشهد الثقافي وتهويده"، والتي تبرز بوضوح الصراع المتصاعد بشأن رموز المدينة وتاريخها واستخدام إسرائيل الحفريات الأثرية والرواية التوراتية من أجل حسم مستقبل القدس وطمس واقعها وماضيها العربيين. ويقدم لنا عماد الخطيب مسحاً ميدانياً وافياً لحجم التحديات السياسية والقانونية والإدارية التي تواجه المقدسيين عامة، وفئة الأكاديميين المقدسيين خاصة، بما في ذلك سبل دعم هذه الفئة وضمان صمودها.

وتكتب نادرة شلهوب - كيفوركيان مقالة قيمة عن أثر الاحتلال في الحيز والبيت، والمكان - الزمان، والجسد، وفي نسيج العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والنفسية، فتعرض لنا السياسات الإسرائيلية اليومية ووقعتها على احتمالات المقاومة والصمود. وتفكك كيفوركيان آليات الأيديولوجيا الصهيونية الكولونيالية، كما تنقل "أصوات حية" للمقدسيين الرازحين تحت نظم الاحتلال، وترسم صورة مؤثرة للأساليب المقاومة المقدسية التلقائية والمدروسة، وكيفية انتقال المقاومة من الحيز الفردي إلى الحيز الجماعي.

علاوة على هذه المادة الغنية، يشتمل هذا العدد على مجموعة من التحقيقات الميدانية التي تتناول الزحف الاستيطاني داخل الأحياء العربية، والصراع ضد جدار الفصل العنصري، ومحاولات التهويد المستمرة في البلدة القديمة، ومعضلة الأرمن الفلسطينيين، والقرى الفلسطينية شبه المنسية شمالي القدس، فضلاً عن خرائط وصور وبيانات توضّح وضع المدينة اليوم.

بعد هذا المحور المكثف المخصص لقضية القدس، نلقت القارئ الكريم إلى بعض أبرز ما جاء في الأبواب الأخرى من المجلة مثل باب "وجه" الذي يتناول تجربة المناضلة الإسرائيلية - الفلسطينية "يا عيل ليرير"، و"باب" صفحة من التاريخ الذي يحيي ذكرى عبد القادر أبو الفحم، أول شهداء الحركة الأسيرة الفلسطينية، وقراءة ياسين الحاج صالح الخاصة لكتاب وزير الخارجية التركي أحمد داود أوغلو، والتي تُلقي كثيراً من الضوء على خلفيات صعود الدور التركي، وعلى مفاهيم داود أوغلو العلمية - السياسية بصورة خاصة.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى باب "فصليات" الذي يعالج أهم التطورات خلال الفصل الأخير على الصعيدين الفلسطيني والإسرائيلي وفي المجال الثقافي، وإلى باب "مناقشات" الذي نأمل بأن يكون منبراً مفتوحاً للنقاش الجدي والحر، كما في ردّ جليبير أشقر على مراجعة ياسين الحاج صالح لكتابه عن "العرب والمحركة النازية"، والتي وردت في العدد الأخير (العدد 84) من المجلة.

أخيراً، إننا، وبكل تواضع، نضع هذه المادة الوفيرة بين يدي القارئ العربي، إقراراً منا بأن هذا ليس إلا جزءاً ضئيلاً من مسؤوليتنا تجاه شعبنا وقضيتنا الأولى، وإدراكاً منا أن المطلوب كان، ولا يزال، أكثر بكثير. ■

أحمد سامح الخالدي

رحيل أبو ماهر اليماني

أراح أبو ماهر اليماني ركابه أخيراً ثم أناخ راحلته وغادرنا إلى رقادته الأبدي. وجاء الوداع المؤلم بينما كان هذا العدد من المجلة في مراحلها الأخيرة قبيل الصدور. وأبو ماهر اليماني كان دائماً صديق المجلة وقارئها المميز، والسائل دوماً عن كل عدد جديد لينهمك في قراءته، وليضع ملاحظاته على بعض مقالاته. وظل، حتى آخر رفق فيه تقريباً، مواظباً على زيارة مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مقتنياً منشوراتها، منقّباً عن التاريخ القريب لفلسطين، وجامعاً الأناشيد الفلسطينية ليعيد تعميمها على فتیان اليوم خوفاً من اندثارها، أو انقطاع التواصل بين الأجيال التي عاشت مأساة النكبة وآلام اللجوء، وبين الأجيال التي تعيش في كل يوم أمل العودة، وهي الأجيال التي علّمها أبو ماهر معنى النكبة ومعنى العودة معاً. كان أبو ماهر اليماني طرازاً نادراً من المناضلين الذين أفنوا حياتهم في سبيل المبادئ التي آمن بها، ومثالاً فريداً للمكافح الصلب والنزيه. و"مجلة الدراسات الفلسطينية" التي ألمها غياب هذا المناضل الصديق ستفرد له في العدد المقبل صفحات هي، في جميع الأحوال، أقل كثيراً ممّا يستحقه.